(١) المجامع : المجامع هى الهيئات الشورية فى الكنيسة المسيحية وقد رسم الرسل نظامها بالمجمع الذى عقدوه فى أورشليم عام ٥١ – ٥٢ م برياسة يعقوب الرسول أسقفها للنظر فى مسألة ختان الأمم (أع ١٥ : ٦ – ٢٩) . وهى إما مسكونية أو إقليمية . فالأولى عقدت مرات معدودة فى القرون الأولى وكان يحضرها أساقفة وقسوس وشمامسة من أنحاء المسكونة لاتخاذ قرارات فى البدع التى ظهرت . أما المجامع الإقليمية أو المكانية فهى التى لا تزال الكنائس تعقدها فى دوائرها الخاصة لإقرار أو رفض عقائد عامة أو للنظر فى شئون محلية .

والمجامع المسكونية المقبولة هى الثلاثة الأولى وهى :

(أ) مجمع نيقية وانعقد سنة ٣٢٥ من ٣١٨ أسقفاً للنظر فى بدعة أريوس القس الإسكندرى الذى قال « إن يسوع المسيح الابن الأزلى مخلوق ». وقد حكم بحرم أريوس وتعليمه ووضع قانون الإيمان من أول « نؤمن بأله واحد » لغاية « وليس لملكه انقضاء » . (انظر سنكسار ٩ هاتور) .

(ب) مجمع القسطنطينية وانعقد سنة ٣٨١ م من ١٥٠ أسقفاً للنظر فى بدعة مقدونيوس أسقف القسطنطينية الذى قال « إن الروح القدس مخلوق » . فحكم المجمع بحرمه وتحريم تعليمه وأقر قانون الإيمان وأضاف عليه التكملة التى أولها « نعم نؤمن بالروح القدس » إلى آخره . (انظر سنكسار أول أمشير) .

(ج) مجمع أفسس الأول وانعقد سنة ٤٣١ م من ٢٠٠ أسقف للنظر فى بدعة نسطور أسقف القسطنطينية الذى قال إن مريم لم تلد إلهاً متجسداً ، بل إنساناً ساذجاً حل فيه بعد ذلك ابن الله حلول المشيئة والإرادة لا حلول الاتحاد ، وأن للمسيح لهذا طبيعتين وأقنومين . وقد حرمه المجمع ووضع مقدمة قانون الإيمان وهى « نعظمك يا أم النور الحقيقى . . الخ » .

(١) الانتخاب والرذل : ويسمى أيضاً سبق التعيين ، ويراد بالانتخاب اختيار الله عبده من الخطاة الهالكين منذ الأزل ليكون وارثاً لأورشليم السمائية . وفى هذا الموضوع رأيان :

الرأى الأول : وتأخذ به كنيستنا وسائر الكنائس الرسولية ، ومؤداه أن اختيار الإنسان ورذله إنما هو مؤسس على « علم الله السابق » بأخلاق ذلك الإنسان ، لأنه جل شأنه يمكنه أن يرى الأشياء مفعولة منذ الأزل كما نراها نحن بحال فعلها أو بعده . بدليل ١ – قبلما صورتك فى البطن عرفتك (ار ١ : ٤) ٢ – لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم (رو ٨ : ٢٩) والله يفتتح أمر خلاصنا بمنح النعمة الأولى أى نعمة الإيمان ، يمنحنا إياها مجاناً بغير استحقاق سابق من جانبنا ، ثم يختتمه بمنحنا نعمة الثبات ، وبين هاتين النعمتين من الزمن المتوسط لا بد من الاجتهاد من جانبنا ، فلا بد للانتخاب الكامل من أمرين النعمة من جانب الله ، ومساعدتها من جانب الإنسان . أما الانتخاب الناقص فهو النعمة من الله دون أن تقترن بالمساعدة من قبل الإنســـان .

الرأى الثانى : ويقول به اغسطينوس ومعه البروتستنت ومؤداه أن اختيار الإنسان ورذله مبنى على مجرد « مسرة الله » وإرادته المستقلة ، لأسباب مجهولة عند البشر ، وأن ما يرى فى المختارين من صلاح فنتيجة للاختيار وليس سبباً له . فالذين عينهم للحياة انتخبهم بالمسيح للمجد الأبدى من قبل مجرد نعمته ومحبته ، بدون أن يرى سابقاً إيماناً أو أعمالا صالحة ، وكل ذلك لحمد نعمته (أف ١ : ٦) . أما سائر البشر فقد شاء ، لأجل مجد سلطانه المطلق على خلائقه ، أن يفوتهم للإهانة لأجل خطيتهم ، ولحمد عدله . ويستند أصحاب هذا الرأى على بعض نصوص كتابية أشهرها قول السيد « لأن هكذا صارت المسرة أمامك » . وهذا النص لا يدل على أن مصدر الاختيار والرذل هو مسرة الله وإرادته فقط ، بل يدل على أن الله سمح بأن كبرياء الكتبة والفريسيين وعماهم يخفيان عنهم الحق .

ويستندون كذلك على قول سفر الأعمال « وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبديه » (أع ١٣ : ٤٨) . والواقع أن هذا النص يثبت أنه تعالى لما نظر منذ البدء إصرار أولئك اليهود الذين كانوا يقاومون بولس وبرنابا على خطاياهم وعنادهم تركهم لا يطيعون جزاء لهم على ما اشتهته أنفسهم ، وأما الأمم الذين فرحوا بالكلمة وقبلوها فقد آمنوا جميعاً ، وكان هذا سر تعيينهم للحياة الأبدية منذ الأزل .

أدلة الرأى الأول :

(ا) وهناك نصوص كثيرة تثبت أن الله لا يشاء البتة أن يهلك أحد وأشهرها ما يأتى : =

= ١ – « لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٣ – ٤) .

٢ – « لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس » (تى ٢ : ١١) .

٣ – « هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب ألا برجوعه عن طرقه فيحيا » (حز ١٨ : ٢٣) .

٤ – « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .

(ب) ولو كان الانتخاب والرذل مبنيين على مسرة الله فقط لترتبت على ذلك النتائج الآتية وهى :

أولا : أن يكون الله محابياً إذ يرحم شخصاً دون آخر .

ثانياً : أن يكون غير عادل بقصاصه إنساناً قصد رذله .

ثالثاً : المخالفة لمبدأ حرية الإنسان ومسئوليته عن أفعاله .

رابعاً : التناقض مع أمر المخلص الصادر لتلاميذه بالكرازة لجميع الناس (مت ٢٨ : ١٩)

(جـ) والرأى الثانى يقود البعض للتراخى والكسل ، والبعض الآخر للفشل واليأس ، وفى كل من هذين الخطرين هوة مفتوحة لاقتناص النفوس للهلاك الأبدى ، فى حين أن الرأى الأول يجمع بين الشعور بنعمة الله وفضله فى تعيينا للخلاص ، وبين الشعور بالمسئولية الشخصية ، ذلك الشعور الذى ينشط النفس وينبهها إلى رغبة الله فى خلاص الجميع ، ويبعث فيها روح الرجاء عندما يمتحن إيمانها .

(١) الانتخاب والرذل : يستند أصحاب الرأى القائل بأن الانتخاب مصدره مسرة الله لا علمه السابق على قول السيد « أضع نفسى عن خرافى » أى أنه يموت عن المختارين ، والواقع أن السيد أتى ليفدى الجنس البشرى عامة لا المختارين فقط واستحق للجميع النعم الضرورية فمن وافقها من الناس خلص ومن خالفها هلك . فأن كان الكلام على نية المسيح وفعله فقد وضع نفسه عن الجميع ، وأن كان الكلام عن النتيجة الواقعية فقد يقال إنه مات عن المختارين فقط لنظره سابقاً أنهم يكونون أمناء على النعم التى سوف يمنحهم إياها (انظر شرح موضوع الاختيار والرذل فى قداس الأحد الثانى من توت) .

(١) الخلاص بالإيمان والأعمال : تعتقد الكنيسة القبطية أن الإيمان وحده لا يكفى للخلاص بل لا بد أن يقترن بالأعمال ، وأن الأعمال روح هذا الإيمان ، أما الكنائس البروتستنتية فتعتقد أن الخلاص بالإيمان وحده ، وأن الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالإيمان ، وأنها ثمرة الإيمان لا روحه وهم يستندون على النصوص الآتية :

أولا : قول بولس الرسول « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » (رو ٥ : ١) ، ويرد على هذا أن الرسول يشير فى هذه الآية إلى الإيمان الفعال العامل بالمحبة الذى تكلم عنه فى رسالته إلى غلاطية حيث قال « لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) ، وكذلك فى رسالته إلى أهل كورنثوس حيث قال « وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . يضاف إلى هذا أن المجازاة يوم الدين ستكون حسب الأعمال لا حسب الإيمان بدليل قول المخلص « فأن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) ، وقوله أيضاً « ليس كل من يقول لى يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) . وكذا قوله يوم الدين للذين عن اليسار «اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى . =

= عطشت فلم تسقونى » (مت ٢٥ : ٤١ — ٤٢) ، وقول بولس الرسول عنه أنه « سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٦) .

ثانياً : قول الرسول « إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس » (رو ٣ : ٢٨) ، وواضح من هذه الآية أن الرسول يقصد أعمال الناموس اليهودى ، فالطقوس الموسوية كالختان وغيره لا تفيد شيئاً ، بل الإيمان العامل بالمحبة .

ثالثاً : وهو أهم اعتراض لهم ، قول بولس أيضاً « لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر . ولكن ليس لدى الله لأنه ماذا يقول الكتاب . فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً . أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة ، بل على سبيل دين . وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فأيمانه يحسب له براً » (رو ٤ : ٢ — ٥) . وللرد على ذلك يجب توجيه النظر أولا للمبدأ المعترف به من الجميع وهو عدم تفسير آية من آيات الكتاب المقدس بحيث تناقض آية أخرى . ومسألة إيمان إبراهيم هذه تكلم فيها يعقوب الرسول أيضاً فقال « ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الأيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح . فترى أن الأيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الأيمان وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله . ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالأيمان وحده » (يع ٢ : ٢٠ — ٢٤) .

وبمقارنة الآيتين يتضح أنهما يفسران بعضهما بعضاً ، فبولس الرسول يوبخ اليهود على فساد رأيهم لأنهم اعتقدوا أنهم بمراعاة طقوس الناموس يستحقون نعمة التبرير بالمسيح ، فبين لهم أن الأعمال غير المؤسسة على الأيمان لا تفيد . أما يعقوب فهو يوبخ المؤمنين على فساد رأيهم إذ ظنوا أن الأيمان بالمسيح حررهم من ناموس الأعمال الصالحة فبين لهم أن « الأيمان بدون الأعمال ميت » (يع ٢ : ٢٦) . فبولس يوبخ الذين قالوا بالأعمال وحدها ، ويعقوب يوبخ الذين قالوا بالأيمان وحده . وينتج من ذلك أن الأيمان والأعمال معاً ضروريان للخلاص . ويؤيد ذلك قول بطرس الرسول « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة » (٢ بط ١ : ١٠) . وقد حذفت من طبعة بيروت كلمتا « الأعمال الصالحة » فى هذه الآية .

ويضاف إلى ما تقدم أن القول بعدم ضرورة الأعمال الصالحة للخلاص يترتب عليه ما يأتى :

١ — نسبة الظلم لله بجعله ينسى أتعاب رجاله العاملين ، وحاشا له ذلك وهو القائل « من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٢) .
=

= ٢ – المخالفة لشريعة العدل والانصاف بجعل الأجر غير متعادل مع التعب مع أن ذلك يتعارض وما جاء فى الأنجيل من أن رابح الأمناء العشرة كوفىء بعشر مدن ورابح الخمسة كوفىء بخمس (لو ١٩ : ١٧ – ١٩) .

٣ – المساواة بين محتقرى الشرائع المقدسة ومحترميها ، مع مخالفة ذلك لقول السيد « فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها يشبه برجل عاقل بنى بيته على الصخر » ، « وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل » (مت : ٨ ٢٤ – ٢٧) .

(١) المعمودية : المعمودية ضرورية للخلاص إذ بدونها لا يخلص أحد كما يتضح من الآية التى نحن بصددها ، والتى يؤيدها قول السيد أيضاً « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن بدن » (مر ١٦ : ١٦) لا كما يقول البروتستنت إن الخلاص بالأيمان فقط . وبناء على ذلك تعلم الكنيسة الجامعة أن الأطفال الذين ينتقلون بغير عماد يكونون فى مرتبة متوسطة ، فلا يتنعمون لأن السيد قال إنهم لا يعاينون ملكوت الله ، ولا يعذبون لأنهم لم يرتكبوا شراً . وقد نهت الكنيسة عن تأخير العماد بعد الأربعين أو الثمانين أو السنة ، وقد فرضت قانوناً على الوالد إذا أخر عماد ولده عمداً ، فقضت بحرمانه من التناول سنة كاملة مع الصوم والصلاة ، وإذا توفى الطفل بغير عماد فأن كان بسبب الوالدين اتبع معهما ما سلف ، وإن كان بسبب الكاهن كأن علم بمرض الطفل وأهمل فى عماده ، أو دعى وتأخر نظر الأسقف فى أمره قانونياً .

ويعترض البروتستنت على عماد الأطفال بحجة أنهم لا يدركون الأيمان ، ويرد على ذلك بأنهم يعمدون على إيمان والديهم وذلك على مثال ختان الأطفال فى العهد القديم على إيمان والديهم ، والختان كان رمزاً للمعمودية . قال بولس الرسول « وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية » (كو ٢ : ١١) .

أما بدعة تعميد الجنين فى رحم أمه كما أجازت ذلك الكنيسة الكاثوليكية فلم يرد فيها نص إلهى ، وليس فى التقاليد الرسولية ما يؤيدها ، ولذا رفضتها الكنيسة ، بل استنكرتها لأنها تراها خارجة عن اختصاص رعاتها .

والمعمودية هى مثال موت المسيح ودفنه ولذلك يجب إتمامها بالتغطيس ثلاث مرات لا بالرش ، إشارة إلى نزول ربنا وبقائه فى القبر ثلاثة أيام . أما الصعود من جرن المعمودية فأشارة إلى قيامته من القبر . وكما أن الميت لا يدفن منه عضو ويترك الآخر ظاهراً ، هكذا يجب أن يكون المعمد . وقد قال بولس الرسول فى ذلك « مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بأيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات » (كو ٢ : ١٢) ، وقال أيضاً « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » (رو ٦ : ٣-٤) . أما المعمودية بالرش فلا تجيزها الكنيسة إلا فى الأحوال الاستثنائية كالمرض الشديد والإشراف على الموت . =

= وبما أن المعمودية مثال لموت المسيح ودفنه وقد مات مرة واحدة ، وبما أنها ولادة روحية ، ولا يولد المرء إلا مرة واحدة ، لذا رتبت الكنيسة عدم إعادة سر المعمودية لمن اعتمد قانونياً . يؤيد ذلك قول الرسول « رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) .

وقد قيل فى فائدة التغطيس ثلاث مرات إنه ليشعرنا بوجوب الاعتقاد بالثالوث الأقدس وأن بقدرته ننال نعمة التجديد والتبنى .

وكما عمد بولس تلاميذ أفسس ووضع عليهم الأيدى (أع ١٩ : ٥) ، وكما صعد المسيح من الماء وحل عليه الروح القدس (مر ١ : ١٠) هكذا رتبت الكنيسة أن تباشر سر الميرون للطفل بعد خروجه من المعمودية مباشرة ، ولا تؤخره كما يفعل الكاثوليك إلى ما بعد سن الطفولة . وبهذا السر ينال المعتمد مواهب الروح القدس .

(١) فاعلية المعمودية : لا يعتقد البروتستنت بفاعلية المعمودية فى المعمد ، بل يعدونها علامة تميز المسيحى عن غيره ، وهو رأى باطل لأن المعمودية لا تترك أثراً ظاهراً يميز المسيحى عن غيره .

(١) طبيعة السيد المسيح الواحدة : تعتقد الكنيسة القبطية ، ومعها الكنائس الحبشية والسريانية والأرمنية ، بناء على ما ورد فى النصوص الألهية ، أن الروح القدس عقد من دماء مريم جسداً بشرياً ذا نفس عاقلة ناطقة ، واتحد به الله الكلمة الأزلى اتحاداً حقيقياً ذاتياً طبيعياً أقنومياً ، لا اتحاداً أدبياً أو عرضياً خارجياً كالاتحاد فى الرأى والمقام ، أى أن الجوهرين توحدا بطبيعتهما وحدة ذاتية باطنية فصارا واحداً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . وبعبارة أخرى أن السيد المسيح كان قائماً من طبيعتين إلهية وإنسانية ، ولكنهما بالاتحاد الذاتى الطبيعى صارتا طبيعة واحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . ولتقريب ذلك لأفهامنا نمثله باتحاد النفس العاقلة بالجسد الإنسانى ، فكما أن الإنسان مركب من طبيعتين مختلفتين هما طبيعة النفس البسيطة الروحانية وطبيعة الجسد الكثيف المحسوس ، وباتحادهما معاً بغير اختلاط ولا امتزاج صارا ذاتاً واحدة ، طبيعة واحدة ، إنساناً واحداً ، كذلك رب المجد ، وإن يكن مركباً من طبيعتين مختلفتين إحداهما إلهية كاملة والثانية إنسانية كاملة ، إلا أنه بالاتحاد الألهى الحقيقى الذاتى هو واحد وحدة حقيقية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . وكما أن اختلاف طبيعتى النفس والجسد وعدم اختلاطهما وامتزاجهما لا يوجب اعتبار الإنسان جوهرين وطبيعتين ، هكذا اختلاف الجوهر الإلهى وطبيعته عن الجوهر الناسوتى وطبيعته وعدم اختلاطهما وامتزاجهما لا يوجب اعتبار السيد له المجد جوهرين وطبيعتين منقسمتين بأى وجه من الوجوه ، فالذى ولد من الآب أزلياً ومن البتول زمنياً هو نفسه ابن الله وابن القديسة مريم .

= وحيث أن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص ربنا صيره واحداً بحيث لا يمكن أن نميز بين المولود أزلياً والمولود من مريم زمنياً ، فإذا قد أخطأ مجمع خلقيدون الذى انعقد سنة ٤٥١ م حين قرر أن السيد المسيح طبيعتين ومشيئتين . والكنيسة القبطية ومن معها لا تعترف بقانونية هذا المجمع .

أما الذين يعترفون به ويقررون للسيد المسيح طبيعتين ومشيئتين ، وهم الكنائس الكاثوليكية واليونانية والبروتستنتية ، فيزعمون أن التسليم بطبيعة واحدة للسيد المسيح يجر إلى الاعتقاد بالاختلاط والامتزاج ، وإلى وقوع الآلام على اللاهوت . ويرد على ذلك بما أجاب به القديس ديوسقوروس بابا الإسكندرية الذى دافع عن عقيدة الكنيسة دفاعه المجيد المعروف إذ قال « إن اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ إذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئاً واحداً . أما احتجاجاً عن ذلك بأيجاب وقوع الآلام على اللاهوت فعنا الدليل الكافى من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ما كانت تعاقب أنفسهم وتتألم . والله قبل الآلام بجسده أما لاهوته فمنزه عن قبول الآلام كلية » .

وقد قرر القديس كيرلس البطريرك الإسكندرى أن « كل من ميز الأصوات المذكورة فى الأناجيل أم الرسائل أم أقوال الآباء أم التى قالها السيد عن نفسه ، وذلك بأن فرزها إلى اثنين وجعل بعضها لائقاً لإنسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله ، وبعضها ملائماً لله أى لكلمة الآب وحده فليكن مثل هذا الشخص محروماً » .

وهناك آيات صريحة تنص جلياً على وحدة الطبيعة فى مخلصنا إذ تنسب فعل الأزلى للزمنى والزمنى للأزلى منها ما يأتى :

١ – « أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين » (رؤ ١ : ١٧ ١٨) . فأسناد صفات اللاهوت ، وهى الأول والآخر إلى الناسوت ، وإسناد صفات الناسوت ، وهى الحى والميت إلى اللاهوت ، لا يستقيم معه المعنى إلا إذا اعتقدنا بأنهما صارا طبيعة واحدة .

٢ – « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » ، وقد شرحناها فى فصل الأنجيل .

٣ – « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣ : ١٦) ، والبذل والموت من خصائص الناسوت دون اللاهوت ، ولكن لأن الكلمة الأزلى صار طبيعة واحدة مع جسده لاق أن يقال عنه أنه مات عن خلاص العالم . =

= ٤ – « الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨) ولا يجوز عقلا أن يكون هذا الابن الوحيد واحداً بالعرض ، بل بالجوهر . وقس على ذلك النصوص الآتية (يو ٨ : ٥٨ ، أع ٢٠ : ٢٨ ، ١ كو ٢ : ٨ ، عب ١٣ : ٨ ، مت ٣ : ١٧ ، أف ٤ : ١٠ ، يو ١ : ١٤ ، ١ كو ٨ : ٦ ، ١ كو ١٠ : ٤ ، ٩ ، لو ١ : ٤٤) .

هذا والقول بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد يشعر بافتراق الطبيعة اللاهوتية عن الطبيعة الناسوتية أى يجعل المسيح مسيحين ويجعل موته – له المجد – ذا ثمن غير كاف لخلاص الجنس البشرى ، وهذه هى العلة الوحيدة التى حملت آباء الكنيسة القبطية على الاستماتة فى الدفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة .

وقد حرصت الكنيسة القبطية على إبراز هذه العقيدة الجليلة الجوهرية واضحة ظاهرة فى الصلوات التى وضعتها لبنيها فى الأجبية ، وفى صلواتها الاحتفالية الجمهورية الواردة بكتاب الخولاجى . ففى الأجبية ورد ما يأتى : =

١ – فى صلاة الشكر : يقول المصلى « لكن نجنا من الشرير بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتى لابنك الوحيد (وفى الأصل القبطى « الوحيد الجنس ») ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . ويلاحظ أن كلمة ابنك الوحيد تكررت أكثر من مرة فى صلوات مختلفة ، وهى فى الأصل القبطى دائماً « الوحيد الجنس » .

٢ – فى بدء صلاة باكر : هنا تختم رسالة بولس الرسول إلى أفسس بالعبارة الآتية : « يعلمنا أن نسجد للثالوث المقدس بلاهوت واحد وطبيعة واحدة » .

٣ – فى تسبحة الملائكة : يقول المصلى « أيها الرب المالك على السموات الله الآب ضابط الكل والرب الابن الواحد الوحيد الجنس يسوع المسيح » .

وأما فى الخولاجى المقدس فنجد ما يأتى :

١ – فى بخور الأبركسيس : عند خروج الكاهن إلى الخورس الثانى يقول الخمسة الأرباع الخشوعية وأولها « يسوع المسيح أمسا واليوم هو هو وإلى الأبد بأقنوم واحد نسجد له ونمجده » .

٢ – فى الاعتراف : يقول الكاهن عن المخلص إنه أخذ جسداً من مريم العذراء « وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » .

٣ – فى قسمة الإبن : وفى هذه القسمة التى تقال فى عيد القيامة يقول الكاهن « هذا هو الجسد الذى أخذه من سيدتنا وملكتنا القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته » .

٤ – فى القسمة السريانية : يقول الكاهن « واحد هو عمانوئيل وغير مفترق من بعد الاتحاد ، وغير منقسم إلى طبيعتين هكذا نؤمن وهكذا نعترف » . =

= ٥ – لحن الوحيد الجنس : وفى هذا اللحن الذى يقال فى الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة ، وفى تكريس الميرون والبطاركة والأساقفة يقول المرتل « أيها الابن الوحيد الجنس وكلمة الله الذى لا يموت . الأزلى وقابل كل شىء من أجل خلاصنا . المتجسد من القديسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم بغير استحالة . المتأنس المصلوب المسيح الأله . بالموت داس الموت . أحد الثالوث المقدس . الممجد مع الآب والروح القدس خلصنا » .

(١) انظر موضوع وليمة الألف السنة بأنجيل الساعة التاسعة من سبت الفرح ص ٥٧٤ ج ٥ كنوز النعمة .

(٢) الحية النحاسية : « وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف . فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك ، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل =

= الشعب . فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا » (عد ٢١ : ٥ – ٩) .

وقيل عن هذه الحية أن لها جناحين داخلين عن رقبتها بمقدار شبر ، فحين تطير وتفرد جناحيها تصير مثل الصليب . وكان للحية التى أقامها موسى على الراية ريشتان ملتصقتان بجنبيها (كتاب تفسير أناجيل أسبوع الآلام) . والغرض من الحية ما يأتى :

١ – رفع العقل إلى الله .

٢ – والإشارة إلى الصليب .

٣ – وأن الناسوت لما اتحد به اللاهوت صدر عنه ما يصدر عن الأله كما شفت الحية النحاسية لما اتصل بها أمر الله وقوته .

٤ – والحية النحاسية لم يكن فيها سم الحيات وهكذا أخذ المسيح جسداً بغير خطية .

(١) الانتخاب والرذل : شرحنا هذا الموضوع فى قداس الأحد الثانى من توت .

(١) تعميم الكفارة : الكفارة هى الترضية العظمى ذات القيمة غير المحدودة ، التى قدمها السيد المسيح للعدل الأهى باحتماله عن البشرية قاطبة قصاص الموت الذى استحقته من أجل خطاياها . والكنيسة القبطية تعتقد أن هذه الكفارة هى لجميع الناس مختارين ومرذولين . أما القديس أغسطينوس فقد اعتقد أنها للمختارين فقط أى أن الله عين بعضاً للخلاص وبعضاً آخر للهلاك ، وأن عدد كل من هذين الفريقين ثابت لا يتغير بتغير الظروف ، فلا المختار يمكن أن يتعرض لخطر الترك ، ولا المتروك يأمل فى مرتبة المختارين .

والواقع أن الخلاص لا يتوقف على إرادة المسيح وحدها ، بل على إرادة الناس أيضاً . ومن ثم فمن آمن به وقبل وسائط النعمة المعروضة عليه خلص ، وأما من رفضها هلك وكان هلاكه من نفسه ، لا لأنه لم تعد له كفارة .

والنصوص التى تدل على أن الكفارة للجميع كثيرة وصريحة ، وفيما يلى بعضها :

١ – قال السيد مخاطباً الآب « إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لمن أعطيته » . (يو ١٧ : ٢) .

٢ – « لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص العالم » (يو ٣ : ١٦) .

٣ – « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) .

٤ – « فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة » (رو ٥ : ١٨) .

٥ – الله « الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٤) .

٦ – « وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم ، بل للذى مات لأجلهم وقام » (٢ كو ٥ : ١٥) .

٧ – « يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » (عب ٢ : ٩) .

انظر أيضاً (رو ٨ : ٣٢ ، أع ١٣ : ٤٦ ، مت ١١ : ٢٨) .

(١) الكهنوت لفئة معينة : يعتقد الخارجون عن الكنائس الرسولية أن السيد المسيح لم يخصص فئة معينة من الناس للكهنوت بل أن جميع المؤمنين كهنة على =

= السواء ، وأن لكل منهم الحق فى تأدية هذه الوظيفة ، وهو اعتقاد مخالف لتعليم الكتاب الذى يعلن أن المخلص انتخب أفرادا معينين للكهنوت ، ومنع عامة المؤمنين من ممارسة هذه الوظيفة ، كما يتضح من قول الأنجيلى « ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضا رسلا » (لو ٦ : ١٢) ، فلو كانت هذه الوظيفة مشتركة بين سائر المؤمنين لما حصرها فى فئة معينة . وكذلك فعل لما انتخب السبعين رسولا (لو ١٠ : ١) ، ومنحهم كما منح التلاميذ الاثنى عشر دون سواهم الحقوق والقوة لا فى الكرازة وحدها بل فى تتميم الأسرار المقدسة كالعماد (مت ٢٨ : ١٩) ، وتقديس القربان (لو ٢٢ : ١٩) وغفران الخطايا (يو ٢٠ : ٢٣) . ولم تكن هذه المواهب قاصرة على الرسل بل تقلدها منهم خلفاؤهم اعتمادا على وعد المخلص القائل « هأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . وقد مارس الرسل هذه الحقوق فأقاموا لهم خلفاء (١ تى ١ : ١٤ ، تى ١ : ٥) وأوصوا الأساقفة الذين أقاموهم أن يمنحوا هذا السلطان لمن يليقون له بدليل قول بولس لتيموثاوس « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناسا أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضا » (٢ تى ٢ : ٢).

وأما الاعتراض بأن الكتاب يدعو كل المؤمنين كهنة بقوله « كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح (١ بط ٢ : ٥) ، وبقوله أيضا « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة » (١ بط ٢ : ٩) فهو اعتراض باطل ، لأن تسميتهم كهنة هو من قبيل المجاز كتسميتهم هياكل وحجارة . ثم دعوتهم ملوكا ليست عامة لجميعهم بل لفئة منهم ، سيما وأن هذا النص قيل أولا عن بنى إسرائيل ولم يكونوا كلهم كهنة بل فئة منهم هى سبط لاوى . ويقول فم الذهب إن تسميته المسيحيين كهنة هو كتسميتهم ملوكا وليس المقصود أن يكونوا كذلك بصفة حقيقية بل بصفة سرية .

كذلك انكار الكهنوت كلية كما يفعل إخوة بليمث اعتمادا على أنه زال بزوال النظام الموسوى هو رأى أشد بطلانا من السابق إذ يخالف قول الرسول « لنا رئيس كهنة » (عب ٨ : ١) .

ترتفع المظنة أنه لفهم إقرارهم به أنه ابن الله . ١٦ – ولقد بادر بطرس بالإجابة نيابة عن الباقين لأن الإسراع إلى الكلام كان فى طبعه . أو لأنهم وهم يعهدون فيه الإسراع اتخذوه لساناً لهم . والدليل على أن إقراره كان إقرارهم جميعاً أن وصية المخلص بألا يقولوا لأحد أنه يسوع كانت صادرة لهم جميعاً لا لبطرس وحده (مت ١٦ : ٢٠) . ١٧ – ورب متسائل يقول إن نثنائيل أقر بأن يسوع ابن الله[1]، وكذلك فعل بطرس فلماذا طوب المخلص الثانى دون الأول ؟ والجواب على هذا أن نثنائيل لم يعرف حينئذ أن المسيح إله ، بل ابن الله بالتبنى لفرط النعمة التى حازها أكثر من بقية الأنبياء والقديسين . فكأنه لم يعتبره ابن الله بالحقيقة، بل على سبيل الكرامة ، أما بطرس فأقر بالبنوة عن يقين .

---

(١) نثنائيل : هو برثلماوس الرسول ، فنثنائيل اسمه ، وبرثلماوس كنيته . وهو الذى رآه يسوع مقبلا إليه وقال عنه هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه . فقال نثنائيل من أين تعرفنى ، فقال يسوع قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك . فأجاب نثنائيل يا معلم أنت ابن الله . فرد عليه يسوع قائلا سوف ترى أعظم من هذا (يو ١ : ٤٧ – ٥٠) .

وقد أوضح المخلص بجلاء أن بطرس لم يأخذ ما أقر به عن الناس ، ولا صدر عنه من قبيل المبالغة وفرط المحبة ، بل أوحى به إليه من الآب ، وفى هذا تقرير للمبدأ القائل إن الإيمان هبة من الله ، وهو المبدأ الذى أيده المخلص فيما بعد بقوله « لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب » (يو ٦ : ٤٤) وقوله أيضاً لهذا قلت لكم أنه لا يقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى » (يو ٦ : ٦٥) . وكذلك أيده بولس الرسول أولا فى رسالته إلى أفسس بقوله « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) وثانياً فى رسالته إلى فيلبى وفيها يقول « لأنه قد وهب لكم من أجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) .

هذا وقول السيد لبطرس « إن لحما ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » فيه دلالة واضحة على أنه لا سبيل لمعرفة طبيعة الله معرفة واضحة صحيحة إلا باعلان إلهى . لأنه لا شىء من عقل أو علم أو خلافهما يستطيع أن يعلن لنا الله إعلاناً حقيقياً إلا الله نفسه ، لأن طبيعة اللاهوت غير محدودة ، فلا تدركها الطبيعة البشرية المحدودة ، ويسوع يؤيد ذلك بقوله « وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له (مت ١١ : ٢٧) . وبما أن معرفة الله لازمة وضرورية للحصول على السعادة الأبدية ، فقد دعت الضرورة أن نعرفه بخضوع العقل وتصديقه الكلى لما شهد به تعالى عن ذاته . أما الذين اعتمدوا على معرفتهم الطبيعية ، ولم يخضعوا عقولهم لشهادة الله الصادقة من نحو هذا السر العظيم ، فقد تدهوروا إلى أسفل دركات الكفر والهلاك الأبدى .

تأسيس الكنيسة عليه :

١٨ — وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس[1] وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها .

---

(١) حرفها الكاثوليك وجعلوها « أنت الصخرة » .

١٨ — وبعد أن طوب المخلص بطرس على هذا الاعتراف القويم بالإيمان ، قال له « وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى » ، وهو لا يقصد بالصخرة شخص بطرس ، بل اعترافه الصحيح وإيمانه الثابت كالصخرة بأن يسوع هو ابن الله . وحاشا لمولانا الحكيم أن يبنى كنيسته على إنسان ضعيف مائت ، أنكر سيده ثلاث مرات وأمام أحقر الناس[1]. ومعنى قوله سأبنى كنيستى هو أن جماعة المؤمنين سيكون لهم هذا الإيمان نفسه الذى عليه تقوم الكنيسة .

---

(١) بدعة رياسة بطرس : تعتقد الكنيسة الغربية أن بطرس الرسول أقيم من المسيح نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ، وأن بابا رومية خليفته هو رأس الكنيسة المنظور ، ومهما قاله بشأن الإيمان يكون كلاماً معصوماً ، يجب طاعته من الجميع أفراداً كانوا أو جماعات ، علمانيين أو كهنة . وهم يستندون على آيات أهمها ما يأتى :

أولا : قول السيد « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى » ، وقد أثبتنا أن المقصود بالصخرة إيمان بطرس الذى شاركه فيه بقية التلاميذ لا شخصه .

ثانياً : قول السيد له ثلاث مرات « إرع خرافى » (يو ٢١ : ١٥ — ١٧) ولم يكن قصده من ذلك منحه الرياسة ، بل توبيخه توبيخاً لطيفاً على إنكار سيده ثلاث مرات ، ودليل ذلك حزن بطرس حين أدرك أن المخلص قصد توبيخه لا تقليده الرياسة . ويرى كثيرون من الآباء أن المخلص بإعطاء هذا السلطان لبطرس قد أعطاه لجميع الرعاة والمعلمين .

ثالثاً : قول الإنجيل عند ذكر أسماء التلاميذ « الأول سمعان بطرس » (مت ١٠ : ٢) ، وهذا لا يستدل منه على تقدم بطرس فى الرتبة والمقام ، بل على أن دعوته للتلمذة كانت قبل سواه ، أو أنه هو الأول فى عدد الرسل فحسب ، مع ملاحظة أن اسمه ورد غير مرة متأخراً عن بقية الرسل كما فى (١ كو ١ : ١٢) . والأولية فى الكنيسة ليس معناها أن يتحكم الرئيس فى الأعضاء ، بل أن ينطق بلسانهم . وقد قال يوحنا فم الذهب « إن بطرس كان أول الرسل لحبه الشديد للمسيح ، ويوحنا كان أولهم لحب المسيح له ، ويعقوب كان أولهم لأنه أخو الرب » . هذا وقد ظلت الأولية فى الكنيسة محصورة فى إخوة الرب ، حتى انقرضت هذه الأسرة بعد وفاة بطرس بعدة سنوات . ويقول القديس أوغسطينوس « إن انتخاب بولس فى آخر الرسل لم يحل دون مساواته بهم جميعاً وببطرس أول المنتخبين للرسالة » . وهذه المساواة بين هـذه الرسولين ، رسول الختان ورسول الأمم ، هى التى جعلتهما للرسل هامتين وللمسيحية منارتين .

رابعاً : « وأنت متى رجعت ثبت إخوتك » (لو ٢٢ : ٣٢) وقد فندناه فى الساعة الثالثة من ليلة الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة فى الجزء الخامس من كنوز النعمة .

ودعوى رياسة بطرس منقوضة من المسيح نفسه الذى ساوى بين تلاميذه فى سائر الأمور ، فمنحهم رتبة واحدة وأعطاهم سلطاناً متساوياً على إخراج الشياطين ، وحل الخطايا وربطها =

وبعد أن قرر أنه سيبنى كنيسته على هذا الإيمان ، قال « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » ، ويريد بأبواب الجحيم الشدائد والأمور الصعبة التى تحل بالمؤمنين ، سواء أكان مصدرها قوة البشر أو قوة الشياطين ، فهى لا تستطيع أن تقهر الكنيسة . وهذه النبوة قد صدقت إذ ما كاد القرن الثالث لقيام المسيحية ينتهى حتى أصبحت هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية ، رغم ما صادفته من مقاومة واضطهادات مرة . ولم تزل تمتد حتى أصبح يدين بها الآن زهاء سبعمائة مليون نسمة أكثرهم من أرقى أمم العالم . وهكذا صدق قول أشعياء « كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه » (أش ٥٤ : ١٧) .

سلطانه الحل والربط [1] :

١٩ — وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات .

١٩ — وبعد أن بين المخلص الأساس الذى تقوم عليه كنيسته ، وعد باعطاء رسله وخلفائهم سلطاناً على حل خطايا البشر وربطها بقوة الروح القدس وفعله

= (يو ٢٠ : ٢٢) والمناداة باسمه فى العالم . وحينما رآهم يتنازعون عمن يكون الأعظم وبخهم بقوله « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) . وفوق هذا فإن بطرس لم يتصرف مع إخوته تصرف الرئيس ، كما أنهم لم يعاملوه معاملة الزعيم ، بل على العكس حينما آمن أهل السامرة أرسلوه إليهم هو ويوحنا (أع ٨ : ١٤) ، وكونه مرسلا من قبل الرسل دليل على أنه لم يكن ذا سلطان عليهم ، بل أنه واحد مطيع لما أجمعوا عليه . ولما انعقد مجمع الرسل فى أورشليم للنظر فى أمر الذين أزعجوا الأخوة بسبب قضية حفظ الختان ، كان بطرس يتكلم فيه ، بل ويعامل كفرد لا كرئيس ، والذى بت فى هذه القضية هو يعقوب الرسول (أع ١٥) .

ومن كل ما يتقدم وغيره يتضح أن دعوى رئاسة بطرس واهية الأساس ، ولهذا لا تأخذ بها الكنائس الأرثوذكسية ، بل ولا البروتستنتية .

(١) سلطان الحل والربط : انظر قداس اليوم العاشر من بشنس .

(٢) الكنيسة الواحدة : لكنيسة المسيح الحقيقية أربع علامات تحددت فى قانون الإيمان وهى أنها ١ – واحدة . ٢ – مقدسة . ٣ – جامعة . ٤ – رسولية . ونقتصر هنا على إيضاح العلامة الأولى :

فكنيسة المسيح الحقيقية واحدة ، وهذه الوحدة يراد بها وحدة الإيمان والتعليم والمعتقد بدليل ما يأتى :

أولا : غاية الله من إرسال ابنه : فقد أرسله ليخلص به الجميع ، ويكون الكل رعية واحدة لراع واحد كما ورد بفصل الإنجيل (يو ١٠ : ١٦) .

ثانياً : تعليم السيد بهذه الوحدة : فقد طلب من أجل تلاميذه والمؤمنين به قائلا « ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى » (يو ١٧ : ٢١) .

ثالثاً : مناداة التلاميذ بهذه الوحدة : فقد قال بولس الرسول : « نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر » (رو ١٢ : ٥) ، وقال « ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى . لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٨) . وقال أيضاً « فأطلب إليكم . أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد =

= وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد » (أف : ١٤ ، ٣ ، ٤) .

رابعاً : تقرير آباء الأجيال الأولى لهذه الوحدة : فقد قال القديس اكليمنض الأسكندرى : « وبما أن الكنيسة مختصة بواحد فهى بالطبع واحدة وإن ثارت عليها الهرطقات لتجزئتها » . وقال القديس يوحنا فم الذهب : « إن الكنائس فى المدن والقرى كثير عددها وإنما الكنيسة واحدة » وقال بمثل ذلك ابيفانيوس وباسيليوس الكبير .

شروط الوحدة : ويشترط لقيام هذه الوحدة أمران : ١ – اتفاق الاعتقادات القويمة ووحدتها . ٢ – ألفة المؤمنين فى كل مكان واتحادهم كجسد واحد رأسه المسيح . وعلى ذلك فالذين ينفصلون عن هذا الجسد الواحد ويعلمون تعليماً آخر غير موافق للتعليم الصحيح الذى لربنا ورسله ليس لهم أن يدعوا بأنهم كنيسة المسيح الحقيقية ، إذ لا يمكن أن تصنع الأعضاء المنفصلة جسداً آخر . وهؤلاء المنفصلون لا يمكن اعتبارهم كنيسة حقيقية أولا لأنه ليس لهم وحدة التعليم والمعتقد ، إذ لكل منهم رأى خاص يختلف عن رأى غيره وثانياً لانفصالهم عن الكنيسة الواحدة ، ومحال أن تسمى الأعضاء المنفصلة جسداً .

اتحاد الكنائس : وقد رغب نفر من الأسقفيين لغايات سياسية فى تحقيق اتحاد الكنائس وبخاصة فى مصر ، وفاوضوا فى ذلك بابا روما فقال لهم « أنا أعرف أن المذاهب المنسلخة من الكنيسة لو أنها رجعت للكنيسة ثانية لتم الاتحاد » . وفاوضوا آباء الكنيسة اليونانية فردوا عليهم قائلين « إننا لا نعترف بالخدم المسيحية التى تقوم بها الجماعات المسيحية غير الأرثوذكسية وأن كنائس هذه الجماعات ليست كنائس بالمعنى المفهوم » . وفاوضوا الأنبا كيرلس الخامس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية فرد عليهم قائلا « أنا أعلم أن فى لندن نفسها ما يزيد على أربعين مذهباً فالأجدر أن تتفقوا فيما بينكم وبعدئذ يجوز أن نتحدث فى مشروع اتحاد الكنائس » ، وبهذا قضى على تلك المحاولة التى قصد بها المساس باستقلال الكنيسة القبطية .

(٢) الكنيسة مقدسة : للكنيسة علامات أربع هى أنها واحدة مقدسة جامعة رسولية . فهى مقدسة ١ــ لأن مبدئها هو ينبوع القداسة ، وقدوس القدوسين ، وهى من لحمه ومن عظامه (أف ٥ : ٣٠) ، ٢ــ ولأن جميع المؤمنين قد تقدسوا بدمه الطاهر (١ كو ٦ : ١١) ٣ــ ولأن جميع أعضائها مدعوون إلى القداسة (١ تس ٤ : ٧) ٤ ــ ولأن تعاليمها وأسرارها المقدسة هى التى تحفظ المؤمنين وتكملهم وتقدسهم (يع ٥ : ١٤ ــ ١٦) .

ويعترض الخارجون على الكنيسة على تسميتها مقدسة بوجود كثيرين من أعضائها يسيرون فى الفجور والشهوات ، ويرد على هذا بأن فساد بعض الأعضاء لا يدل على فساد الأسرة كلها ، سيما وهى تعلم بنيها فى كل زمان ومكان أن يكونوا=

=سالكين فى الحق عائشين فى كل سيرة مقدسة وتقوى (٢ بط ٣ : ١٢) ، ولا يشين عملها وجود بعضهم سالكين فى طريق الغواية والشر . وهى مع ذلك لاتكف عن تحريضهم على اتباع القداسة (عب ١٤ : ٤) بالنصح والتعليم والتأديب وتسر برجوعهم .هذا ووجود الأعضاء النجسة أمر لامندوحة عنه لأن الكمال لله وحده،ولأن البشرية ضعيفة وعرضة للزلل ، ولأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا (يع ٣ : ٢) .

وقد شبهت الكنيسة بالحقل الذى جمع الحنطة والزوان ، وبالشبكة الجامعة للجيد والردىء ، وبالعذارى الحكيمات والجاهلات ، وبالبيدر الذى فيه القمح والتبن ، وبالخراف والجداء . ولكن لله وحده حق التميز بينهم أخيرا، وفرز بعضهم من بعض يوم الدين ،كماهو وارد بالآية التى نحن بصددها فى فصل الأنجيل.

(٢) **الكنيسة جامعة** : لكنيسة المسيح علامات أربع هى أنها ١ . واحدة (وقد شرحناها فى قداس ١٧ هاتور) ٢ . ومقدسة (وستشرح فيما بعد) ٣ . وجامعة (وهى مشروحة هنا) ٤ . ورسولية (وقد شرحناها فى قداس الأحد الأول من أبيب) . وتعتبر الكنيسة جامعة من جهة الاعتبارات الآتية :

أولا – مكانها : فهى مجمع المؤمنين فى كل أقطار الأرض لأنهم جميعاً أعضاؤها، ودليل ذلك قول السيد لتلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت٢٨ : ١٩) .

ثانياً – زمانها : فكما لا يحدها مكان فهى لا يحدها زمان، ودليل ذلك قول السيد=

= للتلاميذ « وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) .

ثالثاً ـ تعليمها : فهى تعلم قواعد الأيمان وجميع العقائد القويمة ، وفى ذلك يقول القديس كيرلس الأورشليمى «إنها تعلم جميع العقائد التى يلزم أن يعرفها بنو البشر من الأشياء المنظورة وغير المنظورة ، عن السمائيات والأرضيات بوجه العموم وبدون ترك شئ » عظة ١٨ .

رابعاً ـ غايتها : فالغاية منها ضم جميع الأمم إلى حظيرتها وإخضاعهم لأيمان ربها وعبادته ، فضلا عن أنها تشفى كل أنواع الخطايا بدليل قول السيد لتلاميذه « من غفرتم خطاياه تغفر له » (يو ٢٠ : ٢٣) ، وتحض على التحلى بالفضائل قولا وعملا .

خامساً ـ مساواتها بين الجميع : فهى تسوى بين جميع الطبقات والأفراد كما قال بولس « ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٨) ، وبهذه المساواة تمتاز كنيسة المسيح عن الكنيسة اليهودية المحصورة فى أمة واحدة . وقد رفع الرب عن كنيسته هذا الحصر ، بدليل قوله للسامرية « تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب » وهى الآية التى نحن بصددها فى فصل الإنجيل والتى تدل على المساواة بين اليهود والسامريين وجميع الأمم فى الكنيسة .

(٣) **الكنيسة رسولية** : لكنيسة المسيح الحقيقية أربع علامات هى أنها واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية ، ونقتصر هنا على العلامة الأخيرة . فالكنيسة تعتبر رسولية أولا من جهة تعليم الأيمان الذى تسلمته من الرب نفسه ومن رسله ، وثانيا من حفظ هذا التعليم والتمسك به بدون أن تزيد عليه أو تنقص منه أو تحدث تغييرا فى وضعه أو رسمه ، مكتوبا كان أو غير مكتوب ، وليس فى=

= حفظ تعليم الرسل فقط بل وفى حفظ تعليم الأنبياء لأن المسيحيين مبنيون على أساس الرسل والأنبياء (أف ٢ : ١٠) ، وثالثا فى رسامة رعاة للكنيسة رسامة شرعية بوضع أيدى رؤساء شرعيين رسوليين متصلة سلسلة خلافتهم بالرسل أنفسهم إذ لا أحد يأخذ لنفسه هذه الخدمة إلا المدعو من الله كهرون (عب ٥ : ٤) . وهذه الصفات الثلاث تتوفر فى الكنيسة الأرثوذكسية . أما الطوائف البروتستنتية فلا يحق لها أن تنتحل لنفسها لقب الرسولية لعدم توفر هذه الصفات فيها . والكنيسة القبطية هى ولا شك كنيسة المسيح الحقيقية لأنها تأسست منذ العصر الرسولى ، ورعاتها شرعيون ، وتسير بحسب تعليم الرب ورسله ، ولأنها حافظت على هذا التعليم دون أن تزيد عليه أو تنقص منه ، ولأن إيمانها واحد وتعليمها واحد ولها قانون إيمان واحد .

(١) نيقوديموس : هذه كلمة يونانية معناها الظافر ، وهو الذى ذهل حينما رأى السيد ماثتاً ، وناداه قائلا « أين جبروتك يا رب » فالتفت إليه السيد ، وللحال سمع الملائكة تنشد التقديسات الثلاثة فهتف قائلا « يا من صلبت عنا ارحمنا » ، وترنم هو ويوسف الرامى بالتقديسات عندما أنزلا جسد المخلص عن الصليب .